الملاح خوادع قُتُل

يمدحه ويذكر وقعة مع وهشوذان بن محمد الكردي بالطرم:

[الكامل]

إِثْـلِـثْ فَـإِنَّـا أَيُّـهَـا الـطَّـلَـلُ
نَـبْـكِـي وَتُـرْزِمُ تَـحْـتَـنَـا الإِبِـلُ[١]
أَوْ لَا فَـلَا عَـتْـبٌ عَـلَـى طَـلَـلِ
إِنَّ الـطُّـلُـولَ لِـمِـثْـلِـهَـا فُـعُـلُ[٢]
لَـوْ كُـنْـتَ تَـنْـطِـقُ قُـلْـتَ مُـعْـتَـذِراً
بِـي غَـيْـرُ مَـا بِـكَ أَيُّـهَـا الـرَّجُـلُ[٣]
أَبْـكَـاكَ أَنَّـكَ بَـعْـضُ مَـنْ شَـغَـفُـوا
لَـمْ أَبْـكِ أَنِّـي بَـعْـضُ مَـنْ قَـتَـلُـوا[٤]

---

(١) ورد الشطر الأول من البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٥٦. يبدأ الشاعر قصيدته المدحية بالغزل. إثلث: كن ثالثاً. الطلل: ما مثل من بقايا الديار. ترزم: تحنّ. يخاطب الشاعر الطلل، وقد وقف يعتبر، فإذا بدموعه تنهمر على ما حلّ بتلك الديار وقد رحل قاطنوها فإذا بسكون حزين يلفّها، ورسوم لها امّحت، والذكريات لفّها النسيان برداء الزمن، التفت الشاعر فوجد ناقته التي عرفت الديار وشمت نسائم الماضي فإذا بها دامعة العينين وترزم صوت الحنين، لذا طلب من الأطلال أن تكون ثالث الباكين، ولعلّها بكت رحيل الأحبّة في زمن مضى.

(٢) يتابع الشاعر حواره مع الأطلال، فالبكاء لغة الشوق إلى الأحبة لذا جدير بتلك الأطلال دمعة حزن، وإن لم تدمع عيناها فهذا من طبعها؛ ألم تكن في الأصل سبب هجرة الأحبّة عنها؛ وقد بخلت بسبل العيش فأجدبت أرضها وجفّ ماؤها؟ إن ذلك من طبعها النكران وقلّة الوفاء.

(٣) و (٤) إنه حوار من جانب واحد؛ فالشاعر يعلم أن الطلل يعجز عن النطق، فلو نطق لعبّر بألم عمّا حلّ به من الحزن لفراق من ارتحل عنه من الأحبة، ولو كان بمقدوره النطق لخنقته العبرات ولما استطاع التعبير عن إحساسه بالألم، وفي أضعف الأمور لردّ على الشاعر بقوله: إن ما به أكثر ما بالشاعر من ألم، فالأحبّة قاسم مشترك بين الشاعر وبين الطلل، فكلاهما عاشق، فقد حملت الحبيبة معها قلب الشاعر واستأثرت به لنفسها فأبكته، ولكن ما حلّ بالأطلال قتل، والمقتول لا يقدر على البكاء.

إِنَّ الَّـــذِيـــنَ أَقَـــمْـــتَ وَٱرْتَـــحَـــلُـــوا
أَيَّـــامُـــهُـــمْ لِـــدِيَـــارِهِـــمْ دُوَلُ[١]
الْـحُـسْـنُ يَـرْحَـلُ كُـلَّـمَـا رَحَـلُـوا
مَـعَـهُـمْ وَيَـنْـزِلُ حَـيْـثُـمَـا نَـزَلُـوا[٢]
فِـي مُـقْـلَـتَـيْ رَشَـإٍ تُـدِيـرُهُـمَـا
بَـدَوِيَّـةٌ فُـتِـنَـتْ بِـهـا الْـحِـلَـلُ[٣]
تَـشْـكُـو الْـمَـطَـاعِـمُ طُـولَ هِـجْـرَتِـهَـا
وَصُـدُودَهَـا وَمَـنِ الَّـذِي تَـصِـلُ[٤]
مَـا أَسْـأَرَتْ فِـي الْـقَـعْـبِ مِـنْ لَـبَـنٍ
تَـرَكَـتْـهُ وَهْـوَ الـمِـسْـكُ وَالْـعَـسَـلُ[٥]

---

(١) ينقل الشاعر عن الطلل كلاماً فيه شيء من التأسي ردًّا عليه، أن من رحل عن تلك الديار وغادرك وأقمت بعدهم أيامهم دول لا تدوم على حال، فقد كانت لياليهم أُنساً وسمراً، وأيامهم عزًّا وفرحاً، والأيام لا تدوم على حال، فإذا بها حزينة كئيبة بتخلّي موجبات البقاء في تلك الأطلال.

(٢) إن الأحبة فتنة وجمال ساحر يُرافقهم حيثما حلّوا وارتحلوا، فإذا بالقلوب التي ملأها حبهم تهوي إليهم حيثما كانوا في حِلّهم وترحالهم.

(٣) الرشأ: ولد الظبية. الحلل، الواحدة حلة: القوم النازلون. يتغزّل الشاعر بعيني بدوية في غاية الحسن والجمال، وقد استعارت من رشأ جمال عينيها وأناقتها ورقّتها وخفّتها وجمال صوتها الذي ينساب في الآذان بلا استئذان، وحيثما حلّت فتنت القوم الذين تنزل بهم بمزاياها المحبّبة للقلوب.

(٤) يمدح الشاعر حبيبته بقلّة حبّها للطعام ممَّا يكسبها تناسقاً بديعاً في جسدها لذا فالمآكل تشكو صدودها وقلّة اهتمامها بها، وبالتالي فإنها لا تهتمّ بشيء ذي قيمة، لذا يستنكر الشاعر عليها أنها لا تألف أحداً ومن عادتها الهجر بشكل عام.

(٥) أسأرت: أبقت. القعب: كأس خشبية مقعّرة. يتحدّث الشاعر عن طيب أنفاس حبيبته وعذوبة ريقها؛ إنها إذا شربت لبناً وأبقت في الكأس منه، فقد يتحوّل طعمه إلى مسك وعسل لعذوبة رضابها.

قَـالَـتْ أَلَا تَـصْـحُـو فَـقُـلـتُ لَـهَـا
أَعْـلَـمْـتِـنِـي أَنّ الْـهَـوَى ثَـمَـلُ(١)
لَـوْ أَنَّ فَـنَّـاخُـسْـرَ صَـبَّـحَـكُـمْ
وَبَـرَزْتِ وَحْـدَكِ عَـاقَـهُ الْـغَـزَلُ(٢)
وَتَـفَـرَّقَـتْ عَـنْـكُـمْ كَـتَـائِـبُـهُ
إِنّ الـسِّـلَاحَ خَـوَادِعٌ قُـتُـلُ(٣)
مَـا كُـنْـتِ فَـاعِـلَـةً وَضَـيْـفُـكُـمُ
مَـلِـكُ الْـمُـلُـوكِ وَشَـأْنُـكِ الْـبَـخَـلُ(٤)

(١) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٧٦. ثمل: سكران. يروي الشاعر حواراً جرى بينه وبين لائمته محاولة ردّه إلى رشده بقولها: ألا تصحو ممّا أنت فيه؟ فكأنها قد جعلته يتفقّد نفسه، فردّ عليها مستنتجاً من مضمون كلامها أن الهوى ثمل؛ إنها حالة من السكر والنشوة حيث يغفو المرء عن اكتشاف حالته فقد تعلق قلبه بمن أحبّ وشلّ عقله فلم يُعمله حتى لفتت نظره إلى ما هو عليه من هيمان وعدم تركيز في أمره ومصيره.

(٢) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٥٤. فناخسرو: اسم عضد الدولة. صبّحكم: أتاكم مع الصباح للغارة. عاقه: أخّره. يُمهّد الشاعر للتخلّص من الغزل إلى المدح. ففناخسر ممدوح الشاعر، لو أنه أراد غزو قوم حبيبة الشاعر، وهو عزوف عن النساء، لو أنها برزت إليه بجمالها وطلّتها لشغف بها ومال قلبه إليها ونسي المهمة التي ندب نفسه إليها. لا شكّ أن هذه البدوية أجمل من نساء الديلمي الفارسي حتى تشغله عن قصده.

(٣) الكتائب، الواحدة كتيبة: الفرقة من الجيش. قُتُل: الواحد قتول. يتابع الشاعر حديثه عن أثر سحر تلك الحبيبة، فقد برزت لممدوحه فتخلّى عن القتال، فكان أن تفرقت كتائبه عن قوم الحبيبة لشغفه بها وتعلّقه فنسي المهمة التي من أجلها قاد حملته. ويردف الشاعر أن جمال النسوة خادع يستميل القلوب حتى قلوب أقوى وأعتى الرجال، فلذا كانت هزيمة الممدوح برقة وسحر أنثوي.

(٤) وردت الأبيات الثلاثة المتوالية في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٥٤. يُخاطب الشاعر حبيبته منوّهاً ببخلها، مادحاً فناخسرو، فقد نزل بديارهم ملك الملوك ضيفاً تخضع له الرقاب، ومن طبع العربي الكرم والجود، والاحتفال بالضيف تكريمه =

أَتُمَنِّعِينَ قِرًى فَتَفْتَضِحِي
أَمْ تَبْذُلِينَ لَهُ الَّذِي يَسَلُ؟(١)
بَلْ لَا يَحُلُّ بِحَيْثُ حَلَّ بِهِ
بُخْلٌ وَلَا خَوْرٌ وَلَا وَجَلُ(٢)
مَلِكٌ إِذَا مَا الرُّمْحُ أَدْرَكَهُ
طَنَبٌ ذَكَرْنَاهُ فَيَعْتَدِلُ(٣)
إِنْ لَمْ يَكُنْ مَنْ قَبْلَهُ عَجَزُوا
عَمَّا يَسُوسُ بِهِ فَقَدْ غَفَلُوا(٤)
حَتَّى أَتَى الدُّنْيَا ٱبْنُ بَجْدَتِهَا
فَشَكَا إِلَيْهِ السَّهْلُ وَالْجَبَلُ(٥)
شَكْوَى الْعَلِيلِ إِلَى الْكَفِيلِ لَهُ
أَنْ لَا تَمُرَّ بِجِسْمِهِ الْعِلَلُ(٦)

= والقيام على خدمته، فإذا بحبيبته تظهر بخلها. والغريب بالأمر أن الشاعر يتحدّث عن حبيبته وإغرائها لسواه، وهو لا يحرّك ساكناً. فأين غيرة المحبّ؟ ففي عالم الحيوان يُدافع الذكر عن أنثاه بكلّ ما أوتي من قوّة أمام مزاحمه عليها.

(١) القرى: الضيافة والقيام بواجبها. يسل، بتخفيف الهمزة من يسأل. يسأل الشاعر حبيبته إن قامت بما يتوجّب من قرًى عليها لممدوحه، ففي ذلك خروج عمّا عُرِف عنها البخل فيه أم أنها تستضيفه فتبذل ما جاء من أجله فيفتضح أمرها فيعني ذلك أنها استمالت إليه.

(٢) الجور: الظلم. الوجل: الرعب. يروى «جَوْر» بدلاً من «خور» والخور: الضعف. يستدرك الشاعر أنه حيثما يحلّ ممدوحه يختفي البخل والظلم والضعف والخوف، لأنه يقوم بالعدل فينشر جناحيه حيث يُوجد وينعم الناس بالأمن والأمان.

(٣) الطنب: الاعوجاج في الرمح. يمدح الشاعر في ممدوحه الاستقامة في سائر أموره، فهابه الناس حتى الأشياء، ومنها الرمح المعوج، فقد اعتدل واستقام من اعوجاجه.

(٤) يُنوّه الشاعر بحسن سياسة ممدوحه وعدله في الرعيّة. لذا فقد عجز من سبقه في الحكم فلم يكونوا عادلين في سياساتهم للرعية لغفلتهم عن سيرته، وكان عليهم أن يقتدوا به ويسيروا على دربه.

(٥) و (٦) ابن بجدتها: الخبير والعالم بأمورها. لقد عانى السهل والجبل من سياسة =

قَـالَـتْ: فَـلَا كَـذَبَـتْ شَـجَـاعَـتُـهُ
أَقْـدِمْ فَـنَـفْـسُـكَ مَـا لَـهَـا أَجَـلُ (١)
فَـهْـوَ الـنِّـهَـايَـةُ إِنْ جَـرَى مَـثَـلٌ
أَوْ قِـيـلَ يَـوْمَ وَغًـى مَـنِ الْـبَـطَـلُ (٢)
عُـدَدُ الْـوُفُـودِ الـحَـامِـدِيـنَ لَـهُ
دُونَ الـسِّـلَاحِ الـشَّـكْـلُ وَالْـعُـقُـلُ (٣)
فَـلِـشُـكْـلِـهِـمْ فـي خَـيْـلِـهِ عَـمَـلٌ،
وَلِـعُـقْـلِـهِـمْ فـي بُـخْـتِـهِ شُـغُـلُ (٤)
تُـمْـسِـي عَـلَـى أَيْـدِي مَـوَاهِـبِـهِ
هِـيَ أَوْ بَـقِـيَّـتُـهَـا أَوِ الْـبَـدَلُ (٥)

= الجهلة من الملوك فعمّ الظلم والاستبداد ودبّت الفوضى في أواصر الدولة، وتأفف الخلق من حالة الفلتان الأمني، والسياسي والاقتصادي حتى آذن الزمان بمجيء عالم خبير بأمور السياسة؛ فأحسن ضبط الأمور فحكم بالعدل والحزم فأذعن له الخلق. إنه المخلّص الذي آل على نفسه القضاء على الفتنة وأن يُعيد للدولة عافيتها بعدما نخرها سوس الفساد فاستجارت بطبيب منقذ، فكانت على موعد مع عضد الدولة.

(١) ثمة حوار بين الممدوح وشجاعته؛ يدعو الشاعر أن تكون صادقة في دعائها بأن شجاعته قد زينت له الأمور ونتائجها بأجمل صورة بالإقدام والمخاطرة فالعمر يقضيه المرء مرّة واحدة، فالشجاع لا يهاب الموت فشجاعته تقيه العثرات خلاف سائر الناس الذين تُرعبهم المخاوف لجبنهم وخوفهم من الموت.

(٢) الوغى: الحرب. يُنوّه الشاعر بشجاعة ممدوحه العظيمة. لقد بلغ أقصى حدودها. وهو في ساحات القتال سيدها، فما من امرئ يصمد أمام عضد الدولة في المبارزة، فلا بدّ أن يصرعه مهما عظمت قدرته وكانت شجاعته.

(٣) الوفود: جماعة الماثلين أمامه يطلبون العطاء. الشكل، الواحد شِكال، وهو ما يجعل في قوائم الجواد. العُقُل، الواحد عِقال: الحبال. يتحدّث الشاعر عن الوافدين على الممدوح، إنهم يأتون مسالمين لا سلاح معهم لعلمهم أن عضد الدولة قوي شجاع يبطش بأعدائه، بل إنهم يقصدونه طامعين بعطاياه من الخيل والإبل والأموال، فيرفدهم بما هم بحاجة إليه سوى السلاح فإنه لا يتنازل عنه لسواه.

(٤) و (٥) البخت: الإبل العجميّة. يمدح الشاعر ممدوحه بالجود، فإنه يُعطيهم الخيول =

يُشْتَاقُ مِنْ يَدِهِ إِلَى سَبَلٍ
شَوْقاً إِلَيْهِ يَنْبُتُ ٱلأَسَلُ (١)
سَبَلٌ تَطُولُ الْمَكْرُمَاتُ بِهِ،
وَالْمَجْدُ لَا الْحَوْذَانُ وَالنَّفَلُ (٢)
وَإِلَى حَصَى أَرْضٍ أَقَامَ بِهَا
بِالنَّاسِ مِنْ تَقْبِيلِهَا يَلَلُ (٣)
إِنْ لَمْ تُخَالِطْهُ ضَوَاحِكُهُمْ
فَلِمَنْ تُصَانُ وَتُذْخَرُ الْقُبَلُ (٤)

= حتى يُشكلوها بشكلهم والجمال حتى يعقلوها بعقلهم؛ إنه لا يردّ سائليه بل يكون عند أملهم فيه، فيعطيهم ما جاؤوا من أجله فيعودون راضين فرحين بما آتاهم. ومن عادته أن يبدأ وافديه بما تحت يديه من الأنعام، فإذا وفّى وافديه وبقي منها رفد به من يتلوهم من الوفود، فإن لم يبق منها شيء رفدهم بما لديه من ذهب وفضة، وبذلك فلا يردّ راجياً بعطاء أو سائلاً خالي الوفاض.

(١) السبل: المطر بين السحاب والأرض. الأسل: عيدان الرماح. يُنوّه الشاعر بكرم عضد الدولة وشجاعته، فالناس دائمو التوقع من ممدوحه كلّ خير، وهم في حال شوق لا ينقطع لأن عطاءه لا ينفد ولا ينقطع، إنه مطر يُتوقّع هطوله في كلّ وقت، كما أن عيدان رماحه في حالة شوق دائم لاستمرار استعماله الرماح في حروبه، لتتبارك بحمل كفّه لها.

(٢) الحوذان والنفل: من أنواع النباتات الطيبة الرائحة. يُعقّب الشاعر أن سبل ممدوحه من نوع آخر من الأمطار، إنه يُنبت المكرمات التي تسبّح بحمده ومجده وعلو مكانته بين الممدوحين لذكائه وشجاعته، فليست مطراً يستنبت نباتاً، إنه مطر المواهب.

(٣) اليلل: قصار الأسنان. ومن مغالاة الشاعر أن جعل الحصى التي يُقيم عليها ممدوحه محجّة يحجّ إليها الناس ويُقبلونها وحتى لكثرة تقبيلهم إيَّاها أصابهم اليلل فإذا بأسنانهم تنكفئ إلى داخل أفواههم.

(٤) الضواحك: الأسنان بين الناب والأضراس. تصان: تحفظ وتذخر. يُردف الشاعر معلّلاً سبب صيانة القبلات، فلا بدّ للضواحك من أن تُخالط الأرض التي يفترشها عند تقبيلها، وإن لم تخالطها فلن تحفظ تلك القبل، وفي ذلك إجلال للممدوح وتعظيم له.

فـــي وَجْـــهِـــهِ مِـــنْ نُـــورِ خَـــالِـــقِـــهِ
غُـــرَرٌ هِـــيَ الآيَـــاتُ وَالـــرُّسُـــلُ (١)
وَإِذَا الْـــقُـــلُـــوبُ أَبَـــتْ حُـــكُـــومَـــتَـــهُ
رَضِـيَـتْ بِـحُـكْـمِ سُـيُـوفِـهِ الْـقُـلَـلُ (٢)
وَإِذَا الْـخَـمِـيـسُ أَبَـى الـسُّـجُـودَ لَـهُ
سَـجَـدَتْ لَـهُ فِـيـهِ الْـقَـنَـا الـذُّبُـلُ (٣)
أَرَضِـيـتَ وَهْـشُـوَذَانُ مَـا حَـكَـمَـتْ
أَمْ تَـسْـتَـزِيـدُ لِأُمِّـكَ ٱلْـهَـبَـلُ (٤)
وَرَدَتْ بِـلَادَكَ غَـيْـرَ مُـعْـمَـدَةٍ،
وَكَـأَنَّـهَـا بَـيْـنَ الْـقَـنَـا شُـعَـلُ (٥)
وَالْـقَـوْمُ فِـي أَعْـيَـانِـهِـمْ خَـزَرٌ،
وَٱلْـخَـيْـلُ فِـي أَعْـيَـانِـهَـا قَـبَـلُ (٦)

(١) يروى «قدر» بدلاً من «غرر»، الواحدة غرّة: بياض وحسن الشيء. لقد خصّ الخالق العظيم الممدوح بنور ربّانيّ أهّله ليكون بمثابة الأمين على أمته ويقوم بدور المبلّغ عنه ما جاء به الرسل والأنبياء، إنه قدر اللّه عزّ وجل بأن أهله بدور عظيم لإصلاح ما فسد من أمور الأمة.

(٢) القلل، الواحد قلّة: الرؤوس. لقد خضعت له القلوب طائعة، ومن رفض ذلك كان سيفه كفيلاً بإخضاع أمثال هؤلاء الرافضين لسلطانه بالضرب على رؤوسهم، وعندئذٍ يرضون بحكمه مرغمين.

(٣) الخميس: الجيش المؤلف من خمس فرق. القنا: الرماح. الذبل: الدقاق. ومن حسن توفيق الممدوح أن خضوع جيوش الأعداء لا يخضعون لإرادته إلا بعدما يُعمل رماحه بهم تقتيلاً وطعناً فيُقبلون ليسجدوا له إقراراً بهزيمتهم وانتصاره.

(٤) و (٥) يُندّد الشاعر بعدوّ لركن الدولة والد عضد الدولة هو وهشوذان فقد كسر والد الممدوح شوكة عدوّه بالطرم موضع في عراق العجم، ويقول الشاعر أرضيت بحكم المنتصر أم أنك لا زلت على عدائك فتتمادى في غيّك؟ وتزيد من مصائب قومك تقتيلاً وتشريداً؟ وقد فاجأتك في عقر دارك سيوف ورماح قد زادها الغضب اشتعالاً ولهباً، فبدت حريقاً هائلاً يأكل الأخضر واليابس في ديار وهشوذان.

(٦) أعيان، جمع عيون. الخزر: ضيق العيون. القبل في الخيول: أي إقبال إحدى عينيها على =

فَـأَتَـوْكَ لَـيْـسَ بِـمَـنْ أَتَـوْا قِـبَـلٌ
بِـهِـمْ وَلَـيْـسَ بِـمَـنْ نَـأَوْا خَـلَـلُ[١]
لَـمْ يَـدْرِ مَـنْ بِـالـرَّيِّ أَنَّـهُـمُ
فَـصَـلُـوا وَلَا يَـدْرِي إِذَا قَـفَـلُـوا[٢]
فَـأَتَـيْـتَ مُـعْـتَـزِمـاً وَلَا أَسَـدٌ،
وَمَـضَـيْـتَ مُـنْـهَـزِمـاً وَلَا وَعِـلُ[٣]
تُـعْـطِـي سِـلَاحَـهُـمُ وَرَاحَـهُـمُ
مَـا لَـمْ تَـكُـنْ لِـتَـنَـالَـهُ الـمُـقَـلُ[٤]
أَسْـخَـى الْـمُـلُـوكِ بِـنَـقْـلِ مَـمْـلَـكَـةٍ
مَـنْ كَـادَ عَـنْـهُ الـرَّأْسُ يَـنْـتَـقِـلُ[٥]

= الأخرى، يصف الشاعر حالة جند عضد الدولة، إنهم خزر العيون غضاب يتطاير الشرر منها، حتى جيادهم في أعيانها قَبَل، فإذا بإحدى عينيها تُقبل على الأخرى لعزّة نفسها.

(١) القبل: القدرة. نأوا: بعدوا. يذكر الشاعر ما حدث أثناء محاصرة ركن الدولة لوهشوذان، فقد انفصل بعض جند ركن الدولة والتحقوا بعدوّه، ومع ذلك فقد ألحق بهم ركن الدولة هزيمة نكراء ولم يتأثر جنده بخروج من خرج منهم عليهم.

(٢) الري: من بلاد فارس. فصلوا: خرجوا عنهم. قفلوا: رجعوا وعادوا. يذكر الشاعر أن ما حصل بخروج من خرج من عسكر ركن الدولة لكثرة جيوشه لم يؤثر على عسكر الريّ، وعندما رجعوا إلى جيش ركن الدولة كذلك لم يشعر أحد بعودتهم لأنهم نفر لا يستطيعون تغيير مجرى الأحداث، لا في حال رحيلهم عن ركن الدولة ولا في حال عودتهم.

(٣) الوعل: تيس الجبل، قوي البنية معكوف القرنين. يسخر الشاعر من وهشوذان. لقد قصد إلى ساحة المعركة واثقاً من النصر يمشي مشية أسد مختال يُوحي بالرهبة فإذا به سرعان ما فرّ من المعركة كأنه وعل شعر بالخطر فلجأ إلى أعالي الجبال بخفة هارباً من قضائه المحتوم.

(٤) الراح، الواحدة راحة: الكف من اليد. لقد كلّفت تلك الحرب وهشوذان الكثير فقد رمى جنده طعماً لسلاح ركن الدولة سهلاً، فكثر فيهم القتل، ومن سلم فقد فرّ تاركاً أموالاً كثيرة سلباً سهلاً لم تر العيون مثيلاً له لكثرته ونوعيّته الجيّدة.

(٥) أسخى: أكرم. يُندّد الشاعر بجبن وهشوذان، فقد جَبُن وترك مملكته يتآكلها الضياع =

لَــوْلَا الْــجَــهَــالَــةُ مَــا دَلَــفْــتَ إِلَــى
قَــوْمٍ غَــرِقْــتَ وَإِنَّــمَــا تَــفَــلُــوا(١)
لَا أَقْــبَــلُــوا سِــرًّا وَلَا ظَــفِــرُوا
غَــدْراً وَلَا نَــصَــرَتْــهُــمُ الْــغِــيَــلُ(٢)
لَا تَــلْــقَ أَفْــرَسَ مِــنْــكَ تَــعْــرِفُــهُ
إِلّا إِذَا ضَــاقــتْ بِــكَ الْــحِــيَــلُ(٣)
لَا يَــسْــتَــحِــي أَحَــدٌ يُــقَــالُ لَــهُ
نَــضَــلُــوكَ آلُ بُــوَيْــهِ أَوْ فَــضَــلُــوا(٤)
قَــدَرُوا عَــفَــوْا وَعَــدُوا وَفَــوْا سُــئِــلُــوا
أَغْــنَــوْا عَــلَــوْا أَعْــلَــوْا وَلُــوا عَــدَلُــوا(٥)

= بأسهل الأمور مؤثراً سلامة رأسه فسخا بشعبه وديارِه في سبيل حماية نفسه ورأسه ولم يهتمَّ بمصير من أوكل أمرهم إليه.

(١) دلف: دنا وقرب. يسخر الشاعر من وهشوذان، فقد كلّفته رعونته وجهله فلم يحتسب لعواقب الأمور، وإنما تسرّع ورمى نفسه بين قوم أقوياء كثر لو تفلوا عليه بصاقهم لأغرقوه ولما استطاع العوم في هذه الحالة.

(٢) الغيل، الواحدة غيلة: القتل غدراً. يمدح الشاعر جيش عضد الدولة، لثقتهم بالنصر فهم لا يغدرون بعدوّهم بل إنهم يُجاهرون بعدائهم ويجاهرون بنواياهم فيقاتلونه علانية ويقهرونه فينزلون به الهزيمة النكراء.

(٣) يُخاطب الشاعر وهشوذان لائماً إيَّاه على تسرّعه ودخوله الحرب مع من هو أفرس منه، وهو على علم بذلك، مع أن فسحة الاتّفاق كانت متوفّرة له، ومع ذلك فقد غامر فخاب وخسر، ولكن إذا اضطرّ، في هذه الحالة فعذره معه، ولا غضاضة عليه حتى في حال خسر الحرب.

(٤) لا يستحي: لا يخجل. نضلوك: غلبوك. يصل إلى معادلة مفادها أن من غلبه بنو بويه لا يستحي، فهؤلاء أبطال لا يُغلبون، وهم باستمرار ينتصرون على عدوّهم.

(٥) يمدح آل بويه، إنهم يعفون عند المقدرة، وتلك من مكارم الأخلاق، ومن مكارمهم أنهم إذا وعدوا كان الوفاء من طبيعتهم، ومن سألهم أعطوه ما هو بحاجة إليه وأغنوه ممَّا يدلّ على كرمهم. ولقد واتتهم ظروف الغلبة فاعتلوا مراقي المجد وحملوا معهم أولياءهم ومؤيّديهم، ثم كانت لهم الولاية على أمور الناس فعدلوا واستتب الأمن في مملكتهم.

فَـوْقَ الـسَّـمَـاءِ وَفَـوْقَ مَـا طَـلَـبُـوا،
فَـإِذَا أَرَادُوا غَـايَـةً نَـزَلُـوا[١]
قَـطَـعَـتْ مَـكَـارِمُـهُـمْ صَـوَارِمَـهُـمْ،
فَـإِذَا تَـعَـذَّرَ كَـاذِبٌ قَـبِـلُـوا[٢]
لَا يَـشْـتَـهِـرُونَ عَـلَـى مُـخَـالِـفِـهِـمْ
سَـيْـفـاً يَـقُـومُ مَـقَـامَـهُ الْـعَـذَلُ[٣]
فَـأَبُـو عَـلِـيٍّ مَـنْ بِـهِ قَـهَـرُوا
وَأَبُـو شُـجَـاعٍ مَـنْ بِـهِ كَـمَـلُـوا[٤]
حَـلَـفَـتْ لِـذَا بَـرَكَـاتُ غُـرَّةِ ذَا
فِـي الـمَـهْـدِ أَنْ لَا فَـاتَـهُـمْ أَمَـلُ[٥]

---

(١) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٧٦. رفع الشاعر من مكانة آل بويه، إنّهم فوق السماء رفعةً وتخطّوْا ما كانوا يطلبون من منزلة ورفعة، ولذا فإذا أرادوا شيئاً دونهم نزلوا لينجزوه ثم ليعودوا حيث تبوّأوا بيسر وسرعة.

(٢) الصوارم، الواحد صارم: السيف القاطع. تعذّر: تعلّل بأعذار كاذبة فاختلقها. يمدح الشاعر آل بويه بكرم الأخلاق والحلم والتروي باستعمال السلاح، إنه آخر ما يلجأون إليه، فلو أن أحدهم عمد إلى الكذب في اعتذاره لقبلوا منه رغم قناعتهم بكذبه، وذلك تكرّم منهم.

(٣) يُردف الشاعر كلامه عن حلم آل بويه، فمن مكارم أخلاقهم أنهم لا يتسرّعون فيمتشقون سيوفهم، بل إنهم يُحذّرون ثم يهدّدون، فإن ارعوى مخالفهم وأذعن لهم كانت له الكرامة، وإلّا فالسيف آخر الكيّ بعدما تكون كل وسائل الإغراء قد عرضت عليه من لوم وعذل وو...

(٤) يُشيد الشاعر بأبي علي والد عضد الدولة، قامت الدولة على أكتافه واستقرّ كيانها بأبي شجاع عضد الدولة، فنهضت واكتملت عناصر السيادة لها والقوّة.

(٥) الغرّة: الطلعة. إنه الحظّ الموفق، بدأ بركن الدولة فحصّل أسباب استقرار الملك فيه وفي بنيه من بعده، ولقد كانت ولادة فناخسرو بشارة خير، فتوسّم الوالد في ولده النجابة وحسن الطالع، فكان أن تهافتت عليه دلائل التوفيق في كل حرب دخلها وكلّ مال توفّر بين يديه لسعادة خلائفه من بعده، فانتعش الأمل بمولد ابنه.